

أَقْلِبِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ^(١) ﴿﴾ من صور الإعجاز البياني الذي تشعر به عند سماعها ، فلا يمكن أن
ترجع ذلك إلى مفردات الآية دون نظر إلى وضعها في الجملة بلا الأمر يرجع
إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض ، ولم يعرض لها الحسن والشرف إلا من حيث
لاقت الأولى الثانية ، والثالثة بالرابعة وهكذا إلى ان تستقر بها إلى آخرها . فالفضل
ناتج من بينها ، وحصل من مجموعها ، وان شككت فتأمل : هل ترى لفظة منها
بحيث لو أخذت من بين اخواتها ، وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهي في
مكانها من الآية ؟ قل « ابلعي » واعتبرها وحدها من غير ان تنظر إلى ما قبلها وإلى
ما بعدها ، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها ...^(٢) .

ومع أن عبد القاهر قد خرج من قضية اللفظ والمعنى برأى قاطع في النظم حيث
جعله مرجع الفضل والمزية ، ودافع عنه بكل ما اوتي من قوة المحاجة والاقناع ،
حتى أصبح هذا الرأي نظرية تنسب إليه ومقياسا صحيحا للنقد الأدبي ، فاننا نراه
مع ذلك يرفع من شأن المعنى تارة ، ومن شأن اللفظ تارة أخرى ، فمامعنى ذلك ؟
هل يعنى اضطرابا في فكره اوقعه في الخطأ والتناقض ، والاسراف في فهم الناس
كما ذهب إلى ذلك بعض المحدثين ؟^(٣) ، أو أنه يعتبر رجوعا عن نظريته وتحليا عن
التمسك بها والدفاع عنها ؟ ! إن الدراسة الواعية لهذه المشكلة من واقع ما كتبه في
« دلائل الإعجاز » تبين لنا انه لم يقع في شيء من ذلك ، فلم يضطرب فكره ،
ولم يرجع عما اعتقده في امر النظم .

واللفظ يرد في كتاب « الدلائل » مراد به أحد امرين :

- الجانب الصوتي المجرد (صياغة الكلام وصورة معناه)

- وكذلك « المعنى » يراد به أحد امرين :

(١) سورة هود الآية : ٤٤ .

(٢) دلائل الاعجاز ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٣) انظر . البلاغة العربية في دور نشأتها ص ١٧٢ ، ومن الجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده

ص ٧٧ . ومذكرات في البلاغة ص ١٢ - ١٥ .